استحضار الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي الجزائري.
كواكي ليلى ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 109-125
DOI: 10.54242/1702-013-003-007

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

استحضار الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي الجزائري

Evoking the anthropological and historical in the imaginary Algerian novelist.

ليلى كواكي (*)

مركز البحث العلمي والتقني في علم الانسان الثقافي

والاجتماعي وهران، الجزائر

Kouaki Leila

lila_crasc@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: **2022/09/13** تاريخ القبول: **2022/11/23** تاريخ النشر: **2022/12/31**

الملخص:

تركز هذه الورقة البحثية على دراسة التداخل بين الأنثروبولوجيا والتاريخ والأدب، محاولة تسليط الضوء على علاقة التاريخ والأنثروبولوجيا والأدب من خلال البحث في التقاطعات بين هذه الحقول المعرفية، وطرح إشكال الذاكرة الجماعية وعلاقته بالتاريخ والأنثروبولوجيا، ثم التعرض إلى موقع الأدب بين التاريخ والأنثروبولوجيا باعتباره يشمل فنونا تزخر بعناصر علم الأنثروبولوجيا بما فيها التراث التاريخي، والثقافي والشعبي التي يعتمدها الروائي في كتاباته. وبذلك أصبحت الرواية وثيقة العلاقة بالأنثروبولوجيا، الأمر الذي أنتج سلسلة من الأعمال السردية التي تصبّ في هذا المنظور. ومن ثم يطرح السؤال التالي: هل تعتبر الرواية بالرغم من كونها نصا متخيلا إسهاما معرفيا في الدراسات الأنثروبولوجية ؟ وكيف يمكن لحضور التاريخ كخطاب معرفي -بتعدد أشكاله- أن يؤسس لفضاء روائي متخيل؟

(*) المؤلف المرسل: ليلى كواكي: lila_crasc@yahoo.fr

استحضار الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي الجزائري.
كواكي ليلى ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 109-125
DOI: 10.54242/1702-013-003-007

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

الكلمات الدالة:
الأنثروبولوجيا، التاريخ ، الرواية،المتخيل، السرد ن العادات، الطقوس.

Abstract:

This research paper focuses on studying the overlap between anthropology, history and literature, attempting to shed light on the relationship of history, anthropology and literature by researching the interferences between these fields of knowledge, and posing the forms of collective memory and its relationship to history and anthropology, then exposure to the position of literature between history and anthropology as it includes arts rich in The elements of anthropology, including the historical, cultural and popular heritage that the novelist relies on in his writings. Thus, the novel became closely related to anthropology, which produced a series of narrative works that poured into this perspective. And then the following question arises: Is the novel, despite being an imagined text, an epistemological contribution to anthropological studies? And how can the presence of history as a discourse of knowledge - in its many forms - establish an imaginary narrative space?

Key Words:
Anthropology, history, fiction, fiction, narrative, customs.

****

1. مقدمة:

يتوقف الباحث في نشأة الرواية وتطورها –حتما- عند سؤال مركزي وهو علاقة هذا الفن بالإنسان والتاريخ والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وذلك في محاولة لتفسير العلاقة المركبة بين الإنسان من جهة، والمنظومة التاريخية والثقافية من جهة أخرى.[1]وإذا كانت الرواية في تعريف النقاد "قصة خيالية خيالا ذا طابع تاريخي عميق"؛[2]فهي تقدم أحداث التاريخ في قالب قصصي تخييلي مشوق يحمل تصور الكاتب عن مرحلة تاريخية معينة، تعبّر عن المجتمع أو الإنسان، وتتخذ من التاريخ مادة للسرد، ليشكل "الحدث لاختيار ضروري فيُلزمُ الأديبَ إعطاء الأدب دلالات قد لا يتحكم فيها".[3]فتكون الرواية مركبة بمرجعيات واتجاهات وتيارات فكرية، مرتبطة بمجموعة عناصر تعمل على تشكيل متخيله، "فالآخر والذات والمجتمع والتاريخ عناصر يتحكم فيها الاصطدام وبناء الصورة، والمثاقفة، ومساءلة الذات، والأنساق التاريخية، والمعطيات، والتبدلات الحاصلة في القيم والسلوكيات، والعلاقات، والرؤى داخل المجتمع وما

استحضار الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي الجزائري.
كواكي ليلى ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 109-125
DOI: 10.54242/1702-013-003-007
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

رافق ذلك من تطويع للّغة ودلالاتها".[4] ولأن اللغة وسيلة لفهم الفني والفكري والأدبي - بما فيه الشفاهي والمكتوب- الذي يميّز كل مجتمع عن غيره؛ فلا عجب أن ترتبط الأنثروبولوجيا بالأدب لأنه أقرب الخطابات إلى الأنثروبولوجيا في التعبير عن عادات المجتمع وتقاليده وثقافته.[5]

2. الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي.

1.2 . تقاطعات الأنثروبولوجي والتاريخي في الكتابة الإبداعية:

في القرن التاسع الهجري حدد عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808 ه) في كتابه "المقدمة" مفهوم التاريخ في كونه إخبار عن أحوال الأمم والأجيال والبلدان، وتناول فيه تاريخ المجتمعات البشرية وأحوالها وتأثرها ببيئتها، كما سجّل أخبار الممالك وأسباب سقوطها مركزا على العصبية القبلية. وقد حدّد ابن خلدون أنّ الجامع بين شتى العلوم والمعارف هو التاريخ؛ وذلك حسب التعريف الذي حدده له، إذ يقول : "التاريخ فن من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لايزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأُول، تنمو فيها الأول، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدى إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان لهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع، وأسبابها عميق، فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق". فكتابة التاريخ - في نظر ابن خلدون- مرتبطة بدراسة تطور المجتمعات من حيث تتبع أخبار الأمم والعمران. وهو يجمع بين الصنعة والعلم بكيفيات الوقائع، والبحث في أسبابها، وبذلك يكون ابن خلدون قد تمكن من دراسة التاريخ من منظور اجتماعي صالح لكل زمان ومكان، كون غاياته تتطابق مع غايات كل الحضارات اللاحقة. وبالتالي؛ يكون هذا المؤلّف قد سجل بداية قراءة علمية ودقيقة لتاريخ المجتمعات، فجعله مجالا للاستقراء والتحليل والاستنتاج، وكان يريد أن يستنتج القوانين التي تحكم حراك التاريخ، حتى يمكن استخدامها في مجالات أخرى . كما كان التاريخ عند محمد بن سليمان الكافيجي (ت879ه) مرتبطا بأول حدوث أمر شائع كظهور ملة أو وقوع حادثة هائلة من طوفان أو زلزلة عظيمة...وبحث في أحوال الناس في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم". وقد اختص شمس الدين السخاوي(ت 902ه) في هذا التعريف بدراسة التاريخ الثقافي للمجتمع. وعلى العموم،

استحضار الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي الجزائري.
كواكي ليلى ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 109-125
DOI: 10.54242/1702-013-003-007
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

فإن مفهوم التاريخ في الكتابات التاريخية عند المؤرخين العرب كان يعني الإخبار عما حدث في الماضي للمجتمعات البشرية.

ورغم أنّ هذه الكتابات كُتبت قبل عصر النهضة، وقبل أن تتأسس الأنثروبولوجيا كعلم يجمع بين شتى الحقول المعرفية؛ إلا أنها كانت مصدرا ثريا للدراسات المعاصرة الغربية والعربية، فبعد قيام النهضة الأوروبية وبداية الحركة الاستعمارية؛ بدأت موجة الترجمة للمؤلفات العربية إلى اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية، وشكلت للباحثين رافدا معرفيا هاما في قيام نهضتهم الفكرية، فقرأوا كتب العرب وطوروها حسب ثقافتهم، ولكن كانت دراساتهم للتاريخ البشري متباينة، فجون جاك روسو (1712-1778) – مثلا- يعتبر المجتمع نتاجا بائسا للتاريخ كما أنه يفترض تاريخا لبدئ الإنسانية، وهو تاريخ ما قبل اجتماعي، ويفترض إمكانية وجود تاريخ أنثروبولوجي. ولكن كما هو الشأن بالنسبة لبوفون **(Buffon)** لا يمكن تلمس هذا التاريخ الأنثروبولوجي إلا عند الشعوب التي ليس لها تاريخ، ولا تملك أي شاهد عن الماضي (أي: الشعوب البدائية). وإذا كان يمكن لهذا التاريخ أن يعكس معالم وخصوصية حضارة معينة؛ فإن ذلك يكون من خلال تصوير نمط معيشتهم، ومن خلال تنظيم الحياة العائلية، ومعتقداتهم وطقوسهم التي يجب اكتشافها .

يحيلنا هذا التحديد لمفهوم التاريخ إلى البحث عن أشكال وحدود التداخل بين التاريخ والأنثروبولوجيا والأدب، من حيث أن كل واحد من هذه التخصصات هو إعادة تمثيل للتجربة البشرية في صيغة سردية تنتقل بمقتضاها الأحداث والوقائع من وجودها المتنافر والمشتت إلى وجود جديد يطبعه الانسجام والترابط ضمن مسار زمني. "ولأن الأحداث التاريخية تمتلك بنية سردية، فللمؤرخين الحق في اعتبار القصص تمثيلات صادقة على هذه الأحداث، ومعاملة هذه التمثيلات بوصفها تفسيرا لها". لكن حضورها الدائم يمكن أن يجعل من التحليل التاريخي أمرا صعبا، كما أن غيابها في بعض الأحيان يكون صعبا ومن ثم يسود النسيان بشكل يبدو غير عادل. وإن غالبا ما يعمل خطاب الذاكرة في توجيه العمل التاريخي، لأنها الحاملة الأولى للتاريخ وتقودنا مباشرة إليه.

ولما كانت الذاكرة الجماعية هي الحافظة لشتى أشكال الموروث الشعبي والأدبي؛ فهي مركز اهتمام الأنثروبولوجيا الثقافية وبشكل خاص عند المهتمين بدراسة أشكال التعبير والإبداع الفني. وذلك يتم عبر دراسة اللغة لكونها وسيلة لفهم الفني والفكري والأدبي- بما فيه الشفاهي والمكتوب- الذي يميّز كل مجتمع عن غيره، لذلك ترتبط الأنثروبولوجيا بالأدب لأنه أقرب

استحضار الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي الجزائري.
كواكي ليلى ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 109-125
DOI: 10.54242/1702-013-003-007
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

الخطابات إليها في التعبير عن عادات المجتمع وتقاليده وثقافته. وبالتالي؛ فإن التداخل بين التاريخ والآداب والأنثروبولوجيا يتجسد في الأجناس الأدبية، وأقربها هو جنس الرواية الذي يجمع بين مختلف فروع الأنثروبولوجيا، كونه تعبير عن الرغبة في معرفة العالم، باعتباره شكلا تعبيريا فنيا يستند إلى الخيال في سرد الوقائع ونسجها على صورة حكاية يمتزج فيها الخيالي بالواقعي، والمجرد بالحسي، والخصوصي بالكوني، والرمزي بالمادي، وتتميز الرواية بأثرها الكبير على مختلف الأجناس الأدبية التي تتحقق من حولها، وفي المجتمعات التي تستوحي منها موادها التخيلية. وهي نص لغوي تخييلي ممتد في الزمان والتاريخ، وتكون الحاجة إليها للتعبير عن الوجود.

2.2 تقاطعات التاريخي والأنثروبولوجي في الرواية العربية:

يقودنا البحث في علاقة الرواية بالتاريخ والأنثروبولوجيا إلى تحديد أوجه الاختلاف والائتلاف بين المؤرخ والروائي والأنثروبولوجي مما يجعل الرواية الإبداع الحامل لخصائص هذين الحقلين معا، وهو ما يوضحه الجدول التالي:

الجدول 1: يوضح علاقة الرواية بالأنثروبولوجيا والتاريخ

العناصر	الأنثروبولوجيا	التاريخ	الرواية
المفهوم	-علم يهتم بالبحث عن أصول الأجناس البشرية، والإثنيات والقبائل ، وأصول العائلات. يدرس المجتمعات من خلال وظائفها الحيويةومن خلال نزاعاتها وصراعاتها. -يهتم بالممارسات والطقوس والتقسيم الطبقي، والعادات والتقاليد، والرمز والأساطير.	التاريخ علم يقوم على أسس (ثلاثة ثابتة) هي الإنسان والزمان والمكان المؤرخ ينطلق من أحداث واقعية و لا يمكنه أن يبدع حادثة تاريخية.	-الرواية تسجيل (تاريخي) لظواهر اجتماعية تحمل دلالات متنوعة يسجلها الروائي أو يحتج ،عليها أو يريد إصلاحها، أو يحملها رسالته. -الرواية عمل فنيّ يتّخذ من التاريخ مادة للسرد، ولكن دون النقل الحرفيّ له. - تحمل الرواية

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

	كما يهتم بالأعمال الإبداعية والثقافية.[6]		تصوّر الكاتب عن المرحلة التاريخيّة وتوظيفه لهذا التصوّر في التعبير عن المجتمع أو الإنسان في ذلك العصر، أو العصر الذي يعيشه الروائي ولكنه يتخّذ من التاريخ ذريعة وشكلاً مغايراً للحكي.
الغاية	إعطاء وصف متكامل لموضوع الدراسة، وليس مجرد معالجة التتابع الزمني.	الوصول إلى حقائق تاريخية	الوصول إلى الصدق الفني
	معرفة الماضي تعتبر ضرورية لفهم أية ظواهر اجتماعية	المؤرخ والروائي يتفقان في هدفهما العام وسعيهما إلى إفهام الإنسان ماهيته ورصد حركته في المجتمع.	
الوظيفة	الإلمام قدر الإمكان بموضوعه من حيث الحركة والتفاعل الاجتماعي والثقافي من ناحية؛ ووصف طبيعة التغيرات والتطورات التي خضع لها هذا الموضوع ضمن البناء الاجتماعي	-المؤرخ مطالب بالصدق العلمي -البحث في الأحداث التاريخية وتفسيرها وبالتالي صنع الحادثة التاريخية.	الروائي ليس ملزما بتفسير ما يحكيه. -الروائي مطالب بإعادة صياغة الحادثة التاريخية وفق رؤيته الخاصة. – توظيف أشكال التراث أن يحترم في ما

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

	الشامل .[7] التحليل النقدي للتمركزات الإثنية حول الذات الثقافية المحلية، سواء كانت غربية أو شرقية، شمالية أو جنوبية، «متقدمة» أو «متأخرة» أولية أو ثانوية أو ثالثية، أو بعبارة أخرى، تكمن موضوعاتها الأساسية والمركزية في العلاقة المتوترة ما بين المعنى والحرية، بين المعنى الاجتماعي والحرية الفردية، بين الوحدة والتعدُّد: مفارقة المُعاصَرة. تلك العلاقة التي تنطلق منها اليوم حركة الشرط البشري برمته.[8]		يضيفه إلى النص التاريخي ما يتوافق مع السياق التاريخي الذي اختاره موضوعًا لروايته -تحقيق الصدق الفني
الأسلوب/ المنهج	- الدخول في المجتمع المراد دراسته ومشاركته العيش كجزء من أفراده المكونين له، ومن ثم يشرع الباحث	يعيد قراءته الماضي لمصلحة الحاضر والمستقبل. اتباع المنهج العلمي الاعتماد على	حرّ في استخدام الخيال كون الفن هو الإطار الذي يحكم عمل الروائي بحيث يبدع حادثة أو يختلق شخصيات

استحضار الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي الجزائري.
كواكي ليلى ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 109-125
DOI: 10.54242/1702-013-003-007
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

	الأنثروبولوجي باستخدام بعض الأدوات ومنها: الملاحظة بالمشاركة. والمقابلة بنوعيها. و تاريخ الحياة، و دراسة الحالة، واستخدام التقنية الحديثة، وغيرها من الوسائل التي تحقق الهدف المنشود وبإمكانية الباحث المزج بين بعض هذه الأدوات أو الاستعانة بأحدها بشكل منفرد حسب احتياج الدراسة وطبيعة المجتمع بها.[9] -إن المنهج الأنثروبولوجي كسائر المناهج العلمية متى ما تم استخدام أدواته بالشكل الصحيح فسوف يؤدي بطبيعة الحال لنتائج تستحق الإشادة العلمية.	حقائق تاريخية الاستنتاج والاستنباط	فنية إلى جانب شخصيات تاريخية اختلاق أحداث فرعية الخروج عن إطار الزمان وحدود المكان.
		التاريخ وثائق تصور مراحل الزمن لبيئة من البيئات.	الرواية التاريخية هي استخدام التاريخ وأحداثه في شكل في شكل فني لمعالجة قضية حية من قضايا المجتمع.
			الرواية التاريخية هي استخدام التاريخ وأحداثه في شكل في شكل فني لمعالجة قضية حية من قضايا المجتمع، وتختار زمانها و مكانها بقصدية مسبقة.

إن التحليل الأنثروبولوجي للرواية يرى في الرواية تاريخ لظواهر اجتماعية يحفل بها البناء الاجتماعي الذي يشكل مشهدا وحقلا للرواية، أو التاريخ الاجتماعي لمجتمع معين تشخصه

DOI: 10.54242/1702-013-003-007
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

الرواية...حيث تغدو الرواية حالة اجتماعية/ ثقافية تتحدد بالعادات، والتقاليد، والقيم، والأعراف، والمعتقدات، والضوابط الاجتماعية، وولاءات وعصبيات...وكل هذه المحددات تتجلى عن طريق المعالم التي يرسمها الكاتب للشخصية الروائية[10] كونها تعبر عن التجربة الإنسانية، وترتبط على الأقل بمجموعة عناصر تعمل على تشكيل متخيلها والتنويع عليه، فالآخر والذات والمجتمع والتاريخ عناصر يتحكم فيها الاصطدام وبناء الصورة والمثاقفة، ومساءلة الذات، والأنساق التاريخية، والمعطيات والتبدلات الحاصلة في القيم والسلوكيات، والعلاقات، والرؤى داخل المجتمع وما رافق ذلك من تطويع للّغة ودلالاتها."[11]فهي جنس أدبي قائم على متخيل حكائي وعلى تلفظ سردي موسوم بسمة العلامة لا الرمز؛ تحتاج إلى مرجع ثقافي يتسع ليشمل جميع المنجزات المعرفية الحديثة في مختلف المجالات، ونعني بهذا الإلمام بالمراجع الثقافية التي تعبر عن المعارف المادية الجديدة والمعارف الإنسانية والجمالية والجغرافية والتاريخية والنفسية في معركة الأبعاد المحيطة بالإنسان - في طرائق إدراكه للأشياء-[12] الذي ينفتح على سائر تشكّلات الفعل الإبداعي في شتّى صوره التراثية منها والمعاصرة، المحليّة منها والعالمية، والقادر على التفاعل معها عبر أشكال متعددة من التعالق النصّي، وتعكس اختلافا في المرجع وتنوعا في الرؤية من كاتب لآخر.[13]ولذلك يدخل الخطاب الروائي في تماس مع خطابات الأجناس الأخرى بوصفه حقلا من حقول التواصل يستوعب داخل بنيته خطابات متعددة.

3.2 . التاريخ والأنثروبولوجيا في الرواية العربية الجزائرية المعاصرة:

منذ أن كتب عبد الحميد بن هدوقة رواية "ريح الجنوب" في سبعينيات القرن الماضي(1970)[14]، ثم "نهاية الأمس"(1975)[15]، وذكر فيها تفاصيل الحياة في المجتمع الجزائري وصراعه مع الاستعمار الفرنسي زمن الثورة من ناحية؛ ثم الصراعات بين هؤلاء الأفراد فيما بينهم فترة ما بعد الاستقلال، حيث كانت بداية لصراعات جديدة جاءت نتيجة التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أثّرت-حتما- في الحياة الفكرية والثقافية في الجزائر بداية السبعينات، من خلال التعرض لموضوع المرأة والأرض، والمرتبط زمنيا بفترة الإصلاح الزراعي، وما يدور في مجتمع القرية حيث قدّم في هذه الرواية صورة صادقة عن تفاصيل الحياة والمرأة خلال تلك الفترة.

منذ ظهور تلك الرواية؛ بدأ التأسيس لكتابة روائية جزائرية قائمة على سوسيولوجيا الحياة، كتابة تعطي "بعدا جديدا للرواية العربية في إضافة الجدل المهم وهو جدل الثورة الجزائرية، إذ قطعت هذا الشوط بالاعتماد على موضوع الثورة ويمكن قراءة الثورة الجزائرية

استحضار الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي الجزائري.
كواكي ليلى ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 109-125
DOI: 10.54242/1702-013-003-007
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

بخطاب فني قصاصي-أفضل بكثير من الخطاب السياسي المباشر-"[16] يأخذ من التاريخ خطوطا ومعالم تضيئ بها جوانب اجتماعية،[17] فاستطاعت الرواية بذلك أن تؤرخ لأحداث الثورة ضد المستعمر الفرنسي، لتكتب بعدها عن الثورة الزراعية في ظل النظام الاشتراكي، وهذا مثلته أيضا رواية "نهاية الأمس" التي أعاد من خلالها "ابن هدوقة" تشريح الوضع المعيش من خلال رصد وقائع الحياة اليومية وصراع القوى الاجتماعية. ويطرح الكاتب في هذه الروايات سؤال الذاكرة الجماعية من خلال استعادة جوانب من ماضي الشخصيات، وصور من تاريخ الثورة الجزائرية وزمن التحرير، إلى جانب إفادته من تقنية الترسّل.[18] وتبقى نزعة الكاتب النقدية هي المهيمنة والمدينة لسلطة الاستقلال التي تشكّل في نظره الامتداد لسلطة الاستعمار، وهو ما يعبّر عنه الكاتب عبر شخصية عابد ابن القاضي في قوله: "حياتنا كلّها مرت في التخوّف والحذر. قبل الاستقلال كنا نعيش تحت الظلم، فتعوّدنا حياة الظلم، وجاء الاستقلال فإذا بظلم الأمس يستمرّ وتزداد عليه الضرائب الجديدة".[19]

ومع بداية الثمانينيات سجلت الكتابة الروائية حركة انتقالية جديدة "تحفز الكاتب الروائي إلى تجاوز الأشكال المستهلكة والعقيمة، وإلى تجريب أدوات جديدة وخلق أشكال حية"،[20]فبرز توجه فني جديد للرواية العربية يعتمد تقنيات حداثية تجريبية في بنيتها السردية، يسعى الكاتب إلى صياغتها صوغا فنيا يستجيب لسياق ثقافي ورؤية جديدة للعالم تتجاوز المألوف والسائد، وذلك هو ما يسمى بـ: "التجريب" في الرواية.[21]

ولعل استحضار أشكال التراث ومحاورتها هو شكل من أشكال التجريب، وسعي إلى تحرير مادته التي يريد الاشتغال عليها لتحليل وتفكيك مقولاتها، وهو ما يعطي للبناء السردي طابع المغامرة -إن على مستوى الشكل؛ أو على مستوى المضمون- "فتنفتح الرواية على أبنية خطابية متعددة: المسرحي والشعري والديني، والحكائي، والشفوي، والتاريخي، لتقوم بوظائفها في مجرى الخطاب ويتضافر مع الطرائق الموظفة في بنائه. وهذا ما يجعلها تسهم جميعا، وكلاّ حسب خصوصياته في إثراء عالم الخطاب الروائي وتشكيل مكوّناته، وأخيرا تحقيق نوع من الانسجام في بنية الخطاب"[22] ممّا يجعل الرواية تنفتح على أكثر من احتمال وتوقع، وهو ما يكسب القراءة طابعا خاصا ينهض على السعي إلى تفجير الأبعاد الخفية في النص، خاصة إذا كان هذا الأخير يتميز بسرده المتشعب ولغته الرمزية وبعده العجائبي.[23]

ويمكن أن نمثل برواية "الحوات والقصر" (1980) للطاهر وطار[24] وهي تعود إلى الأسطورة لتطرح إشكالية وعي الذات بالتاريخ والثورة والسلطة الوطنية أسطوريا، فارتبطت

استحضار الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي الجزائري.
كواكي ليلى ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 109-125
DOI: 10.54242/1702-013-003-007
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

الرواية شكلا بالأساطير، وحاورت أساطير "ألف ليلة وليلة" في حكاية "الصياد والعفريت"، كما حاورت "جزاء سنمار"، و"أسطورة بروميثيوس"، في استعمال بنيتها الحكائية،[25] وهي تحكي رحلة الصياد (علي الحوات) -الذي يمثل نموذج الرعية- إلى القصر ليقدم السمكة هدية لجلالة الملك، فيصف مظاهر أسطورية عجيبة في القرى التي يمر بها، ليعبّر بالرحلة إلى القصر، والوعي بالطريق الذي يقود إلى السلطان عن رحلة الوعي بالثورة[26] التي بها يضع نهاية للتسلط. فتتخذ الشخصية البطلة من خلال هذه الرحلة كافة الأبعاد التاريخية حاملة إياها إلى القصر بأحلامها وهمومها لتصبح شخصية "علي" هي الأداة لاكتشاف غموض الواقع ورؤيته عن قرب، فحضور الفكر الأسطوري الشعبي في الرواية قائم على أساس غيبي لا عقلاني في الكثير من مرتكزاته، فينتقل من المألوف إلى الخارق لتجعل القارئ بدوره يعيش عالما أسطوريا جديدا. لكن وطار لم يلجأ إلى الأسطورة من أجل بناء واقع أسطوري، بل لجأ إليها كشكل من أشكال عكس الواقع ضمن حدود المنظورات الشعبية المحدودة، ومن هنا يتخذ البطل بعده التاريخي الحقيقي ليصبح هو التاريخ ذاته بكل التناقضات والتشكلات التي يظهر بها على الصعيد الاجتماعي[27]. وبذلك يكون قد فتح مرحلة جديدة لتطور الواقعية الاشتراكية في الرواية الجزائرية مستفيدا من ثقافته التراثية، ومن واقعه المعيش ماضيا وحاضرا، وهو ما جعله كتاباته تتجاوز التعبير عن الواقع لتصبح أداة فعالة لتغييره.

كما جرّب ابن هدوقة في رواية "الجازية والدراويش"(1983) توظيف الثقافة المحلية برواسبها وأفكارها كونها جزءا مهما في تحديد ملامح الهوية، ويذكر في ذلك: "الكاتب العربي الجزائري بصفته من منطقة حوض المتوسط هو شاء أم أبى متأثر بالثقّافات الإنسانية المحيطة به حتى لو لم يقرأها أو يعرفها تمام المعرفة فهو يحمل رواسب وأفكار من هذه الثقافات التي تعايشه، لكن ليكون صادقا مع نفسه وقارئه سواء في الجزائر أو خارجها ينبغي أن ينطلق من محليتّه إلى مايسمى بالعالمية فهو جزء من هذه الإنسانية العامة وهو أصدق في التعبير عن إنسانية يعرفها من الداخل، من إنسانية يسمع عنها، وما يطلب منه هو جزءا مكملا للأدب الإنساني، وهذا يعني بكلمة أخرى أن أي ارتباط بالمراكز الخارجية يفقده قيمته ويجعله مقلدا لأشكال ومدارس نشأت في مجتمعه واستوعبت واستلهمت في نفس الوقت تطورات سوسيو تاريخية مخالفة لتلك التي مر بها شعبه.[28]

وفي سعيه للتجديد وتجاوز خطية البناء الروائي التقليدي؛ استثمر ابن هدوقة الأسطورة والمخيلة الشعبية، وهكذا استحضر من التراث السردي الشعبي صدى "الجازية" في "**تغريبة بني**

استحضار الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي الجزائري.
كواكي ليلى ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 109-125
DOI: 10.54242/1702-013-003-007
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

هلال". وهي تجربة تعكس نزعة تجريبية باحثة عن الأشكال التعبيرية الجديدة في الممارسة الروائية، يمتزج فيها الحقيقي بالمتخيل والواقعي بالأسطوري، من خلال عدد من الشخصيات المحفوفة بدلالات أسطورية ورمزية مركبة ذات أحجام وكتل وأبعاد تشغل أحيزة خاصة وعامة، مغلقة أو مفتوحة، وترتبط بأشياء مادية محسوسة، طبيعية أو اصطناعية لصيغة بها أو توجد في المدارات التي يتميز بها عالمها.[29]وقد عبّر عنها الكاتب ذاته في قوله: "ككاتب أحاول أن أوظّف عدة مضامين ومستويات(...) فمن السذاجة بمكان أن يبقى الكاتب هو نفسه، الكاتب يتطور فنيّا."[30]وهو ما يؤكده في قوله: "ترمز الجازية إلى الجزائر. أردت أن أذهب بأسطورة الجازية إلى بعد فني وسياسي من خلال الجازية الروائية. أردت أن أعطيها قاعدة مادية وجدت بالفعل. وهي الجازية الشخصية السياسية رمز الجزائر القاصرة(...) أردت أن أكذّب كلام قارئة الكف، وأقول :ليس صحيحا، الشعب ليس قاصرا..."[31]

وفي التسعينيات كتب وطار "رواية الشمعة والدهاليز"(1995)[32]. وهي الأخرى من أبرز الروايات التي تزخر بأشكال التراث حيث "أعادت تركيب واقع تاريخي، لتشكّل محاولة في تمييز الحقيقة من الخيال، والأسطوري من الواقعي وما تخلّلها من تفاصيل تنبش في أسطورة ضاربة في زمن منصرم، بالتطرّق إلى مجموعة مفاهيم وأبعاد إنسانية وحتى معتقدات دينية، وذلك بإمدادات أدبية وتاريخية" [33]. فانطلاقا من أسطورة المتاهة والظلام تمكّن وطار من إعادة توليد دلالات جديدة من خلال الكتابة عن تجربة جديدة عاشها المؤلف، وهي تجربة العنف التي ترتبط بتاريخ الاغتيالات سنوات التسعينيات في الجزائر.

تتأسس هذه الرواية على ثنائية الأمل/اليأس، والموت/ الحياة، ليجسدها منذ البداية في عنوان الرواية: (الشمعة والدهاليز)، من خلال لغة تجسد معاني الخوف والقلق والظلام من خلال توظيف المفردات الدالة على ذلك مثل: السرداب- المتاهة- المظلم- القفل- الضريح، وقد وجد في الأسطورة اللغة التي بها يعبر عن الصراع الذي تخلقه الإيديولوجيات من خلال شخوص الرواية، وتتناص أسطورة المتاهة مع أسطورة أرديادني التي كانت تحب ثيسوس وبفضلها تمكن من الخروج من المتاهة و النجاة من الموت.[34] ومنها شيّد وطار عالم روايته المتخيل داخل بنية ظلامية وهي البيت الذي كان مؤسسا لكل الأحداث، فمنه ابتدأت الأحداث وفيه كانت نهاية البطل، وفي مقابل الأسطورة نهل وطار من التراث الديني وذلك من خلال توظيف بعض المفردات مثل (الصلاة، البيت الحرام، العيد، التهليل، الله سبحانه وتعالى، إسلامية، رب العالمين[35]وتوظيف نصوص من القرآن الكريم ودمجها في صميم البناء الفني

استحضار الأنثروبولوجي والتاريخي في المتخيل الروائي الجزائري.
كواكي ليلى ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 109-125
DOI: 10.54242/1702-013-003-007
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

للرواية باعتبار الرواية تسمح بتوظيف مختلف الأجناس التعبيرية: أدبية كانت، أو دينية، أو علمية، يترجم فيه رؤيته للعالم وأحكامه القيمية[36] وهو ما نجده بشكل جلي في الجزء الأول من الرواية "الله نور السماوات والأرض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ"[37]. وهذه اللغة تعبر عن ظهور تيار جديد مناهض للتيار الشيوعي الذي كان سائدا، وبذلك استطاع وطار أن يؤسس لتجربة روائية جديدة معبرة عن المتاهات التي دخلتها الجزائر أثناء التسعينيات، تدرج ضمن ما يسمى أنثروبولوجيا العنف.

3. تحليل النتائج:

- تتميز الرواية بأنها فن نثري يعتمد على الخيال، إلا أنها تستمد مادتها من أحداث واقعية متصلة بالتاريخ، وتتداخل مع حقول أخرى كالأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، والتاريخ.
- بدايات البحث الأنثروبولوجي لم تكن وليدة الحركة الاستعمارية، بل كانت كتابات المؤرخين العرب تسجيلا لإنجازات البشرية، و ووقائع الدهور والحوادث والنوازل، وكتاب المقدمة لابن خلدون أبرز شهادة على اهتمام المتقدمين بإنتاج الإنسان و تاريخ الأمم والأجيال، والعمران والحضارة.
- تتحدد العلاقة بين التاريخ والأدب والأنثروبولوجيا في كونها تجتمع في الرواية وتعيد تمثيل التجربة البشرية في طابع فني جديد.
- تعتبر الذاكرة الجماعية الحافظة لكل أشكال التراث التعابير الفنية والعادات والتقاليد، وتقوم الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية بدراستها من خلال تحليل بنيتها اللغوية، وباعتبار الأدب أقرب الخطابات إليها؛ فإن الرواية العربية هي الفن الذي يجمع بين مختلف فروع الأنثروبولوجيا باعتبارها تاريخ لظواهر اجتماعية .
- استطاعت الرواية العربية الجزائرية أن تؤسس لفضاء سردي مؤثث بأشكال التراث متقاطعة في مضامينها مع التاريخ والأنثروبولوجيا بشتى فروعها: أنثربولوجيا المرأة، أنثروبولوجيا القرية، أنثروبولوجيا العنف...من خلال تجريب صيغ جديدة متجاوزة كتابات السبعينياتّ، ناتجة عن وعي الروائي بطريقة التعامل مع مختلف النصوص التراثية و المعاصرة.
- تسير هذه الروايات في اتجاه واحد هو سوسيولوجيا التاريخ بعاداته وتقاليده وقائعه الضاربة في التاريخ عبر الفضاء الزماني والمكاني.

4. خاتمة:

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

تعتبر الرواية الفن الإبداعي الجامع لكل أشكال التراث بما فيها التاريخي والديني والأدبي، وحتى العادات والتقاليد التي تحفظها وتتوارثها الذاكرة الجماعية، وقد بين الكُتاب هذه الأشكال من خلال إعادة تمثيل التجارب الإنسانية والأحداث التاريخية في روايات الثمانينيات والتسعينيات، وبعد الدراسة الميدانية؛ تبين أنه رغم اعتماد النص الروائي على المتخيل الذي يعطي للنص أدبيته وفنيته وخصوصيته؛ إلا أنه المرجع الذي يعتبر قاعدة أساسية ومنطلقا في الكتابة الإبداعية، وبذلك يكون محور تقاطع مع مختلف الحقول المعرفية .

الإجالات:

[1]- ينظر عبد الله الخطيب، روايات علي أحمد باكثير قراءة في الرؤية والتشكيل، باكثير، موقع الأديب علي أحمد www.bakatheer.com/upload/Rewayat-Bakatheer_al-Khateeb.pdf، تحميل يوم: 2017/01/16 .

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

[2]- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق2002،ص101، عن الأدب والأنواع الأدبية، مجموعة من الباحثين ، ترجمة طاهر نجار،دار طلاس، ط1، دمشق،1985، ص128.

[3]- يوسف يوسفي، استدعاء الذاكرة التاريخية في السّرد الجزائري المعاصر، مجلة جيل الدراسات الادبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، العدد 56 الصفحة 105، يراجع أيضا مقال: محمد طيبي عن رولان بارت الكتابة في درجة الصفر، مجلة اللغة والادب ، جامعة الجزائر ابريل 2001 ، العدد 15 ص 130.

[4]- شعيب حليفي، المتخيل والمرجع سيرورة الخطابات، ضمن كتاب الرواية والتاريخ، ملتقى القاهرة الثالث للإبداع الروائي العربي (دورة عبد الرحمن منيف)، 2005، طبع بالهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، ج1، ص451.

[5]- أ. م. د. ناهضة عبد الستار ، أ. م. د. علي جواد وتوت ،سندس محمد عباس أنثروبولوجيا الأدب دراسة لقصة (أنا الذي رأى ... وثائق) للقاص محسن الزملي، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، م19، ع1، 2016، ص 45. و بخصوص تعريفات التاريخ ، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مكتبة و دار المدينة المنورة للنشر و التوزيع و الدار التونسية للنشر، 1984، ص ص 30-31/ محي الدين الكافيجي، المختصر في علم التاريخ،(تحقيق: محمد كمال عز الدين)، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1410هـ/1990،ص ص 55-56.

[6]- مصطفى تيلوين، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، منشورات الاختلاف، الجزائر- دار الفارابي، 2010، صص32-34،(بتصرف).

[7]- أوراغي أحمد، الأنثروبولوجيا والتاريخ، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، المجلد 3، العدد1، صص220-222، (بتصرف) .

[8]- عثمان لعكمشي، مُهِمَّة الأنثروبولوجي اليَوم، صحيفة القدس العربي، https://www.alquds.co.uk، نشر بتاريخ: 2021/02/22، تحميل يوم : 2021/04/07.

[9]- راجح ضيف الله العتيبي ،عبد الرحمن عسيري، المنهج الأنثروبولوجي، مدونة القوانين الوضعية، https://qawaneen.blogspot.com/2020/02/blog-post_75.html عن: محجوب، محمد عبده، طرق ومناهج البحث السوسيو أنثربولوجي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص56. تحميل بتاريخ: 2021/04/07.

[10]- عز الدين دياب، التحليل الأنثروبولوجي للأدب العربي" الرواية السورية أنموذجا"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2010، صص83-86 ، بتصرف.

[11]- شعيب حليفي، المتخيل والمرجع سيرورة الخطابات، ضمن: كتاب الرواية والتاريخ، ملتقى القاهرة الثالث للإبداع الروائي العربي (دورة عبد الرحمن منيف)، 2005، طبع بالهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، ج1. ص451.

[12]- صالح بن الهادي رمضان، النقد الروائي العربي وقضايا المرجع، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، ،2013، صص64-65.

DOI: 10.54242/1702-013-003-007
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

[13]- ناتالي ساروت، الكتابة الروائية بحث دائم، ضمن كتاب "الرواية والواقع" منشورات عيون، الدار البيضاء، 1988، ص12.

[14]- عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1970.

[15]- عبد الحميد بن هدوقة، نهاية الأمس الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975

[16]- عبد الجاسم الساعدي، قراءة في روايتي عبد الحميد بن هدوقة : ريح الجنوب ونهاية الأمس المؤلف - البطل – الراوي، موقع عبد الحميد بن هدوقة، https://www.benhedouga.com/content ، تاريخ النشر: محدد بثلاث سنوات وثلاثة أشهر، تاريخ التحميل: 2019/10/17.

[17]-شوقي بدر يوسف، الأنثروبولوجي و رواية التاريخ نوة الكرم لنجوى شعبان نموذجا، موقع أنثروبوس، https://www.aranthropos.com ، د.ت، تحميل بتاريخ: 2021/03/23.

[18]- بوشوشة بن جمعة، الرواية العربية الجزائرية، أسئلة الكتابة والصيرورة، دار سحر للنشر، تونس، 1998، صص41 -43.

[19]- عبد الحميد بن هدوقة، نهاية الأمس، ص 16.

[20]- عز الدين المدني، الأدب التجريبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1972، ص27 (بتصرف).

[21]- ينظر: ليلى كواكي، التجريب في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" أنموذجا، ضمن مؤلف جماعي: التجريب في الرواية الجزائرية: الأسس والخلفيات، أعمال الملتقى الوطني الرابع، إشراف: أ.د مفلاح بن عبد الله، مختبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي أحمد زبانة، غليزان، ط1، 2018، ص138.

[22]- بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، تونس،1999، ص365.

[23]- نفسه، ص ن.

[24]- الطاهر وطار، الحوات والقصر، دار البعث، قسنطينة، ط 1، 1980.

[25]- مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، منشورات دار الأديب، وهران، ط1، 2005.ص70.

[26]- جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2007، ص78، (بتصرف).

[27]- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، صص583-584، (بتصرف).

[28]- بن حفصة عائشة، مستويات توظيف التراث في الرواية الجزائرية نهاية الأمس لعبد الحميد بن هدوقة واللاز لطاهر وطار ونوار اللوز لوسني الأعرج -أنموذجا- رسالة دكتوراه، إشراف: الأخضر بركة، ص252، عن: احمد فرحات، أصوات ثقافية من المغرب العربي الجزائر، الدار العالمية للطباعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص81.

DOI: 10.54242/1702-013-003-007
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

[29]- عثمان بدري، الدلالة المفارقة للمكان الروائي عند عبد الحميد بن هدوقة... قراءة في روايتي ريح الجنوب ونهاية الأمس، موقع عبد الحميد بن هدوقة، https://www.benhedouga.com/content ، تاريخ النشر: محدد بثلاث سنوات وتسعة أشهر، تاريخ التحميل: 2019/10/17.

[30]- بوشوشة بن جمعة، الرواية العربية الجزائرية، أسئلة الكتابة والصيرورة، دار سحر للنشر، تونس، 1998، صص38-40.

[31]- نفسه، ص48.

[32]- الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، دار الهلال، 1995.

[33]-هدى الهرمي ، الرواية الجديدة والأنساق التاريخية، مجلة نصوص إنسانية، موقع: https://nososensani.blogspot.com/2020/06/blog-post_44.html، نشر 2020/06، تصفح يوم: 2021/03/20.

[34]- فتيحة حسيني، التناص في رواية الشمعة والدهاليز، رسالة ماجستير، إشراف : محمد زغينة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2001-2002، ص145، (بتصرف) عن: *Smone Fraisse*. Le *mythe d'Antigone*. Armand. Colin, 1974 , p8.

[35]- الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، رواية، ص08-10-23-38.

[36]- مخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة ،دار الأمان ، الرباط،، ط1، 1987، ص73.

[37]- القرآن الكريم، سورة النور، الآية 35.- موظفة في الرواية ص 28.